

زاهية او ضحية الازياء (المردا)

رواية تاريخية بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

١ على فراش الروع

اخبر الثقة احد رجال الاكليروس المتبرين قال : دُعيتُ في منتصف ليلته من شتاء سنة ١٩٢٠ وانا خادم رعية في بعض احياء بيروت لأعرد قساة قيل لي انها مصابة بداء عياء لا ترضى بهلاج وتأبى كل تعزية قاطعةً الامل من الحياة فنهضتُ مرعاً وصليت الى الله ليرشدني الى تدبير هذه النفس وسلوانها . ثم سرتُ الى حيث دعاني الدليل فدخلتُ حياً ذا لياتٍ ومعارض حتى بلغت داراً في وسط حديقة صغيرة بازائها بيت ذو طابقين كانت المريضة في طابقه الاعلى فصعدتُ اليه واذا امامي غرفتان متوازيتان كانت الفتاة في غرفة اليسين . فلما دخلتُ بابها الرابض وجدتُ المكان مظلماً فاسد المراو وفي زاوية فتاة تناهز المشرين من عمرها مضجعة على فراشٍ بالٍ ممدود على الراح بسيطة لاصقة بالارض وحولها بعض النساء من مافرها . فتقدمت اليها قليلاً فوجدتها شاحبة اللون غائرة العينين في حجاجها يستر جسها دثارٌ خفيف بالٍ وكان تلوح من ملاحظها علامات الضجر والسأم وقد انهكتها الحُمى فوهي تنف وتشكو حالها وكاد السعال يخنقها فيرى صدرها في صعود وهبوط كأنه متناخ الكور

فلما وقع نظرها عليّ بدت في وجهها امارات الاشتزاز كأنها لقيت شخصاً مكروهاً فعزلت نظرها الى الحائط لتلا تبصرني فسألتُ عن احوالها فاجابت احدى النساء انها غريبة واثت المدينة منذ ثلاثة اشهر تدور في البلد فاجرت هذه الفرقة وكثيراً ما تنيب عنها حتى أصيبت بدائها منذ خمسة عشر يوماً

فتعربت منها ودعوتها باسمها بكل لطف : فلم تجب إلا بالنفور والتدمدم فسألتها أمهي في حاجة الي شي . او يمكنكني ان اخذها خدمة ما روحية او جسدية؟ فقالت : لا است محتاجة الى شي . فدعني وشأني

— ا لك تنفرين هكذا؟ قد اتيتك بصفة صديق . انا كاهن الله لا اريد الا
خيرك . ألك احد من اهلك لأعلمه بامرِك ؟ وهل ابرك حين ؟

قالت : لا قد مات وانا صغيرة السن

— وأمك ان كانت حية تُرزق انا اكتب اليها

— لا تذكر لي يا ابنتي تلك الام بل تلك العجوز بل الذئبة المتقيحة فانها هي

سبب كل شقائي

قلت : او تسين انها هي علة وجودك ؟

— بل قل انها علة تعاستي . جازاها الله على سر . ضيها ممي

سكتُ ورأيت من هياج المريضة ما خفتُ ان يتفاهم ويزيدها ألأ وعرفت ان
لها قصة مزعجة تحيك في صدرها وتنخر قلبها فدعوتها الى السكنية والمهدر . ثم
جثوت على ركبتي لاصلي لاجلها وبقيتُ حيناً التمس من الله أن يمن علي هذه الفتاة
وينعها الشفاء . وعلى الاقل راحة الضمير وطمانينة القلب

فلما رأنتني جاثياً على الحضيض رق قلبها وصرخت : ما لي اراك يا ابنتي خرجت به ثراً

تألمت في ايامي لاجلك واطلب من الله ان يبدي لي تواضعك

قالت : قد فقدتها جميعاً ولا امل لي بالحدول عليها . وقد استسلمت سب الحياة

أريد إلا ان ينقطع حبها لانجوس بلانها

— بل اني اؤمل انا بان تحطمي بها كليها ان شاء الله . وراك في هذه العرفة

تحتاجين الى ادوية وخدم لا يمكنك ان تنالها في هذه العزلة فسأسمى لى رتيبة

الراحيات في المستشفى الكبير كي تقبلك لوجه الله في جملة المريضات

— اني اشكرُك يا ابنتي على لطفك لكنني افضل ان ابقى هنا فاودع عما قليل

هذه الحياة التي ما ذقتُ فيها طعم السلام

قلت : تعني يا ابنتي فلعل الله دعاني اليك لا كون لك رسول هذا السلام المقرد .

فلمتُ عليها وخرجت متأثراً من حالة تلك الآنة المسكينة طالباً من الله ان يضمد

جراح قلبها برهم الايمان والرجاء

٢ في المستشفى

ولما كان صباح النهار اسرعتُ الى المستشفى وواجهت ربيته الجليلة فأخبرتنيها

بجالة الفتاة فشقت عليها واذا كانت اسرة المرضي في الحجرة الكبرى كلها مشغولة
ارادت ان تحضها بعرقه صديرة لتغني يامرها
عدت الى زاهية في عصر النهار فوجدتها مضطربة كاسفة البسال فلم ازل الح
عليها بالخروج من منزلها حتى اقتنعتها بان تنقل في عربة الى المستشفى حيث استقبلتها
الزوية والراهبات بما يعرفه الجميع من لطفهن

كانت الايام الاولى التي قضتها زاهية في المستشفى مختصة بنجس مرضها
وتشخيص داتها . فوجد الطبيب ان تلك المسكينة قد بلغت من الخزال وضعف القوى
ونوبات الخس ما يرتاب في شفائها واملأها تبارح الحياة بعد زمن قليل
فكنت ازورها من وقت الى آخر لاستخبر عن احوالها وادخل فادارها قلقة لا
يطمن لها بال فترتاح الى منطري وكنت اجتهد بان ارحي اليها بالافكار الدينية
لا تزع من قلبها شوكة تدميه ثم انشدتها الله ان تفتح قلبها لرحمة تدهالي فتكشف
مكترنات صدرها لاحد الاطباء الروحيين فقلت لها : كاني اراك تكتمين في صدرك
دا دينا لله هو الذي يكلم قلبك ويفقدك ما تحتاجين اليه من الهدوء لئيل غافيتك
— أجل يا ابنتي إلا ان قصتي طويلة مخجلة ما كنت لاكشها لانسان لولا ان
لطفك وحنانك علي يدفواني الى أن أقر بها — لانبة فتكون قصتي عبرة لغيري من
الفتيات الجاهلات

قلت : او ترضين ان يعلم بها غيري ؟

قالت : نعم . فلما من اذا رأين عاقبة ضلالي يرتشدن بيئي فينتج من الشر بعض
الخير واكفر عن ذنوبي ويرحمي الله اذا صلين لاجلي
قلت : حسبك اليوم ما حدثت به فاني اخاف عليك ان يزعبك طول الحديث
فان شاء الله تتعين عن قلبك هذه الهدوم في يوم آخر . ثم ودعتها بعد ان اوصيتها ان
ترفع نظرها الى الله فتطلب من مراحمه ان يهز لها ما فرط منها فتجلب عليها
بتراضها ورحمة تمالى الذي لا يريد سوى رجوع الخطاة الى جادة الخير والتوبة
التصح (لها تابع)